

المجلس الأول من التعليق على منظومة القلائد البرهانية

إنَّ الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله.

الحمد لله أولاً وأخراً ظاهراً وباطناً دائماً وأبداً، الحمد لله على ما أنعم علينا ووفقنا لإنهاء المستوى الأول ثم المستوى الثاني وها قد عدنا والعود أحمد مستعدين لبداية مستوى دراسي جديد، نكون معكم فيه، نتدارس العلم ونذاكره ونشتغل به، وهذا أمرٌ سينفعنا جميعاً بإذن الله لكن مع صلاح النية والقصد.

ثم نتقدم بالشكر لشيخنا المفضل علي الرملي على ما قدم ويقدم، ونسأل الله لنا وله الإخلاص والقبول. والشكر موصول إلى جميع المشايخ في هذا المعهد النافع المبارك بإذن الله ﷻ.

ثم نشكر جميع الطلاب على صبرهم وجلدهم في الطلب ونهئ منهم من أنهى المستوى الأول ومن أنهى المستوى الثاني ونهئ من اشتغل بمادة من المواد ونجح في امتحانها، ونسأل الله لنا ولكم النجاح في امتحان الآخرة، إذ هو الامتحان الحقيقي والفوز العظيم، ﴿فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾.

وقبل الشروع في المقصود يحسن أن نقدم بمقدمات:

اتفقت جميع الأمم على التورث، إذ لا خلاف بينهم فيه، لكن الخلاف بينهم في كيفية التورث، من ذلك اختلافهم في أسباب الميراث وموانعه وأركانه، فالتوارث طبيعة بشرية عند جميع الأمم سلفاً وخلفاً، لكن من فتح الله عليه وتوسع في هذا العلم ودرس طريقة التورث عند الأمم السابقة وفي الجاهلية وفي أمم الكفر المعاصرة شرقاً وغرباً وقارنهما بنظام الإرث في الإسلام فإنه يعتزلاً محالة بما من الله به علينا أمة الإسلام بهذا النظام البديع والتقسيم العادل الذي تعجز عقول البشر أن تأتي بمثله أبداً أو يخطر على بالها، وما ذلك إلا لأن الله ﷻ تولى قسمتها بنفسه، فلم يكلها لا لملكٍ مقربٍ ولا لنبيٍ مُرسَلٍ، ولا لحكيم من الحكماء، ولا لأحد من الناس، ففصّل ﷻ تفاصيلها تفصيلاً بخلاف سائر الأحكام كالطهارة والصلاة والزكاة والصيام والحج وغيرها من العبادات، فإن النصوص الواردة فيها جاءت في الكتاب مُجملة وجاء بيانها في السنة، بخلاف الفرائض فقد أتى تفصيلها في الكتاب، فأعطى الله ﷻ من يستحق من تركة الميت بدون أن يُفرق بين ذكرٍ وأنثى، وبين صغيرٍ وكبير، وبين قويٍ وضعيف، ووزعها عليهم توزيعاً عادلاً إذا وجد السبب وتحقق الشرط وانتفى المانع.

اعتناء العلماء بعلم الفرائض:

اهتم علماء الأمة بهذا العلم إهتمامًا كبيرًا من السابقين إلى اللاحقين، فشغلوا أوقاتهم في دراسته ومدارسه، وأودعوه كتبهم الفقهية وبوّبوا له بابًا خاصًا، فما من كتاب من كتب الفقه إلا وتجد فيه كتاب الموارِيث، وما كتاب الدرر الهية للشوكاني رَحِمَهُ اللهُ عَنْكُمْ ببعيد، فقد مرَّ معكم فيه كتاب الموارِيث، لكن لأهمية هذا العلم ومكانته العظيمة أفرده العلماء بالتأليف، فألّفوا فيه المؤلفات الخاصة، وما هذا إلا إدراكًا منهم لمكانة هذا العلم من العلوم الشرعية، فألّفوا فيه المختصرات والمتوسّطات والمطولات والحواشي والشروح، ومنها ما جاء نثرًا ومنها ما جاء نظمًا.

ومن أفضل ما أُلّف فيه من المختصرات ويحسن للمبتدئ دراستها والاعتناء بها:

- "منظومة الرّحبية"، و: "المنظومة الفارضية"، وكذلك المنظومة التي سنتدارسها بحول الله وهي: "القلائد البرهانية".
- رسالة: "تسهيل الفرائض" للشيخ ابن عثيمين رَحِمَهُ اللهُ.
- رسالة: "الفوائد الجليلة في المباحث الفرضية" للشيخ عبد العزيز بن باز رَحِمَهُ اللهُ.
- ومن الكتب المتوسطة في هذا الفن والنافعة بإذن الله:
- "التحقيقات المرضية على المباحث الفرضية" للشيخ صالح الفوزان حفظه الله.
- ومن المطولات في علم الفرائض وهي كثيرة أيضًا:
- منظومة: "عمدة كلّ فارض في علم الوصايا والفرائض" المعروفة بـ: "ألفية الفرائض" للشيخ: صالح بن حسن الأزهرى وهو من علماء القرن الثاني عشر، وقام بشرحها الشيخ: إبراهيم بن عبد الله بن إبراهيم الفرضي في كتاب: "العذب الفاضل شرح عمدة الفارض"، وهو من أطول المصنفات في هذا الفن، في مجلد كبير جدًا وهو مطبوع ومعروف.

اعتناء أهل العلم بهذه المنظومة:

اعتنى بشرح هذه المنظومة كثير من أهل العلم، فكم لها من شرح مطبوع وشرح مسموع، وأشهر من شرحها من المعاصرين وشرحه مسجلٌ صوتيًا ومُدونٌ كتابيًا وهو مطبوع، شرح الشيخ محمد بن صالح العثيمين رَحِمَهُ اللهُ، فقد شرّحه عدة مرّات، سُجل من هذه الشروح تسجيلين والحمد لله، وكان الشيخ ينصح بهذه المنظومة ويُقدمها على منظومة الرّحبي على شهرتها.

وما هذا الاعتناء بهذه المنظومة إلا للقيمة التي حظيت بها، فحزنيّ بك أيها الطالب أن تعتني بها حفظًا وفهمًا وتدوينًا، والله الموفق.

سبب اختيار هذه المنظومة وما وجه المفاضلة بينها وبين الرّحبية؟

امتازت الرّحبية بآتها:

- سبقت البرهانية في التأليف، فالرحبي توفي سنة ٥٧٧.
- كثرة شروحه وحواشيه واعتناء العلماء بها.
- قد تكون الرّحبية أسهل وأيسر في الحفظ من غيرها.

امتازت البرهانية بـ:

- شدة اختصارها مقارنة بالرّحبية، فعدد أبياتها: ١١٢ بيتًا، وأمّا الرّحبية فعدد أبياتها: ١٧٦ بيتًا، فالفرق بينهما واسع وواضح ٦٤ بيتًا، فالبرهاني اشترط على نفسه الاختصار وذكر ذلك في بداية نظمه فقال:

بَأَلُغْتُ فِي اخْتِصَارِهَا مُوَضِّحًا مُعَرِّرًا أَقْوَالَهَا مُنْقَحًا

ومن أمثلة ذلك جمع البرهاني ﷺ أسباب الإرث في بيت واحد، فقال ﷺ:

وَهِيَ ثَلَاثَةٌ نِكَاحٌ وَنَسَبٌ ثُمَّ وِلَاءٌ لَيْسَ دُونَهَا سَبَبٌ

بخلاف الرّحبي ﷺ فإنه جمعها في بيتين، فقال ﷺ:

أَسْبَابُ مِيرَاثِ الْوَرَى ثَلَاثَةٌ كُلُّ يُفِيدُ رَبَّهُ الْوَرَاثَةَ
وَهِيَ نِكَاحٌ وَوِلَاءٌ وَنَسَبٌ مَا بَعْدَهُنَّ لِلْمَوَارِيثِ سَبَبٌ

ومن الأمثلة كذلك جمع البرهاني ﷺ لموانع الإرث في بيت واحد، فقال ﷺ:

وَيَمْنَعُ الْإِرْثَ عَلَى الْيَقِينِ رِقٌّ وَقَتْلٌ وَاخْتِلَافٌ دِينِ

بخلاف الرّحبي ﷺ فإنه جمعها في بيتين فقال ﷺ:

وَيَمْنَعُ الشَّخْصَ مِنَ الْمِيرَاثِ وَاحِدَةٌ مِنْ عِلَلِ ثَلَاثِ
رِقٌّ وَقَتْلٌ وَاخْتِلَافٌ دِينِ فَافْهَمْ فَلَيْسَ الشُّكُّ كَالْيَقِينِ

ومن الأمثلة كذلك جمع البرهاني ﷺ أصحاب الثلثين في بيت واحد، فذكر من يستحق الثلثين وشرط كل

وارث فقال:

وَالثُّلْثَانِ لِاثْنَتَيْنِ اسْتَوَتَا فَصَاعِدًا مِمَّنْ لَهُ النِّصْفُ أَتَى

بخلاف الرحيبي رحمته الله فإنه ذكرهم في أربعة أبيات كاملة، فقال رحمته الله:

وَالثُّلْثَانِ لِلْبَنَاتِ جَمْعًا مَا زَادَ عَنُ وَاحِدَةً فَسَمْعًا
وَهُوَ كَذَلِكَ لِبَنَاتِ الْإِبْنِ فَأَفْهَمَ مَقَالِي فَهَمَّ صَافِي الدِّهْنِ
وَهُوَ لِلأُخْتَيْنِ فَمَا يَزِيدُ قَضَى بِهِ الأَحْرَارُ وَالْعَبِيدُ
هَذَا إِذَا كُنَّ لَأُمِّ وَأَبٍ أَوْلَابٍ فَأَحْكُمَ بِهِ نَذَا تُصِيبُ

والأمثلة على ذلك كثيرة يطول المقام بسردها.

• ثم إنَّ البرهانية على شدة اختصارها فإنَّ فيها من الأبواب مالا يوجد وما لا لم يُذكر في الرّحبية أصلاً، من ذلك: الحقوق المتعلقة بالتركة وفيها باب الرّد وفيها ميراث ذوي الأرحام وليس هذا كله في الرّحبية.

• الفارق الثالث والذي ميّز البرهانية على الرّحبية أنه لا يوجد حشو في البرهانية بخلاف الرّحبية، والحشو هو الكلام الزائد الذي ليس من أصل الموضوع مما يُؤتى به لجبر النّظم، هذا ميّزها عن الرّحبية، لكن على كثرة الحشو في الرّحبية إلاّ أنّه في الغالب مفيد، لذلك قال الشيخ شمس الدين محمد الفارضي في مقدمة منظومته نظم الفارضية:

وَجِيْزَةٌ وَالْحَشْوُ فِيهَا يَنْدُرُ فَأَحْفَظُ وَحَشْوُ الرَّحِي سَكْرُ

الفارضي رحمته الله يقول عن منظومته نظم الفارضية أنّها وجيزة، فإنَّ عدد أبيات الفارضية ١٢٧ بيتاً إلاّ أن البرهانية أوجز منها فقد جاءت في ١١٢ بيتاً، ثم يقول عن منظومته (الفارضية): والحشو فيها يندر، ثم يقول عن حشو الرّحبي أنّه سكر.

ومن هذا الحشو الذي جاء كالسكر، بل هو أحلى من السكر، قول الرّحبي رحمته الله عند أن كان يُعدد الفروض المقدرّة في كتاب الله:

وَالثُّلْثَانِ وَهَمَّا التَّمَامُ فَأَحْفَظُ فَكُلَّ حَافِظِ إِمَامٍ

فالكلام في الشطر الثاني من البيت لا علاقة له بموضوع كتاب الرّحبية فهو حشو لكنّه كما قال سكر.

هذه المميزات كلّها كفيّلة باختيارنا لمنظومة القلائد البرهانية وتقديمها على الرّحبية، وكما تقدم فإنَّ الشيخ ابن عثيمين رحمته الله أثنى عليها وشرحها مرات وكرات وكان يقدمها على الرّحبية.

الترغيب في دراسة هذا العلم وعدم التخوف منه:

الذي نرجوه منكم جميعاً أن تكون لكم رغبة كبيرة وتشوق إلى هذا العلم، وأنبه إلى قضية مهمة تتعلق بهذا العلم، فالكثير من طلاب العلم وطالبات العلم يتخوفون من علم الفرائض وقد لا يفهمونه، ويصعب عليهم حتى لو درسوه، فيقول أحدهم أو تقول إحداهن: حاولت دراسته لكن استشكلته ووجدته صعباً وشاقاً ولم أفهمه، لكن في الحقيقة السبب قد يكون راجعاً إلى الأستاذ المدرس نفسه، فقد لا يُحسن إيصال المعلومة وتفهم الطالب هذا العلم، لكن في الغالب يكون السبب من الطالب نفسه، فأنت ترى أنّ الطالب دخل إلى دراسة هذا الفن وهو مهزوم نفسياً، موطنٌ نفسه أنّ هذا العلم صعب وهو متخوف منه، لذلك قد لا ينتفع من الشرح، فالحالة النفسية تلعب دوراً بالغاً في رسوخ المعلومة عند الطالب.

والجواب على هذا الاستشكال من وجوه:

الوجه الأول: هو أن نقول هو والله ليس بصعب، وخذوها أخذ مجرب أنّ هذا العلم سهلٌ يسيرٌ وسيجد الطالب لذةً بعد أن نمشي فيه بحول الله ﷻ، ولو كان صعباً لما كنت أنا مدرسكم، ولما اقتحم هذا الميدان أمثالي، إذ لا اقتحمه الجهابذة من العلماء فقط.

الوجه الثاني: وهو أنّ هذا العلم يمكن أن تتقنه في مدة وجيزة وتتقنه إتقاناً في مدة لا تُقارن بالمدّة التي تحتاجها لإتقان غيره من العلوم.

الوجه الثالث: وهو قول الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَكِّرٍ ﴿٧﴾﴾، والفرائض من القرآن الذي يسره الله ﷻ، قال بعض السلف في تأويل هذه الآية: "هل من طالب علمٍ أو خير فيُعان عليه"، وفي هذا دليلٌ على تيسير الله لهذا العلم، لكن يجب على الطالب أن يجتهد، فقط يحتاج إلى شيء قليلٍ من الحساب ويحتاج إلى حفظ، حتى إنّ من أتقن هذا العلم وفتح الله عليه فإنه يحلّ بعض مسائله شفوياً من غير كتابة أصلاً، وقد أتقن هذا العلم حتى بعض الأولاد الصغار لكن ضبطوا هذا العلم، والطالب يحتاج إلى حفظ أصول ومهمات ومقدمات في هذا العلم، أمور يسيرة إن شاء الله، هذا العلم يحتاج إلى قليلٍ من الجهد، ليس هذا العلم ثقافة عامة تأتي تحضر الدرس ثم لا تراجع ولا تذاكر ولا تحفظ ولا تحلّ مسائل، لا يمكن بهذه الطريقة تحصيل هذا العلم، كما لا يمكن لمن درس الرياضيات أن يدرسها دون حلّ للتمارين والمسائل وحفظ للقوانين وتطبيقها وأنتم تعرفون ذلك، فهذا العلم ليس ثقافة عامة، وعلى هذا نزل كلام الشيخ الفوزان المعروف المشهور لما سأله الطلبة تدرّسهم متن الرّحبية فأجابهم بجوابه الشهير، ومنه: "أنتم ما أنتم حافظين، أنتم عندكم كسل، ما أنتم حافظين ولا صابرين، أول يوم ما تجون تخلون الدرس...، جربنا هذا، إذا شافوا حرّ التعلم وشافوا حرّ التمثيل والمسائل نفروا راحوا، ما عندهم صبر" اهـ.

فالخلاصة أنّه لا صعب مع جدٍ واجتهاد.

الحث على الحفظ:

إنَّ الحفظ من أهم الأسباب المعينة على نجاح الطالب عموماً وفي هذا الفن خصوصاً: فبدون حفظٍ لا يمكنك أن تمشي في هذا الفن، أمورٌ تحفظ وتضبط وتتقن في فقه الفرائض، ثم بعد ذلك نمشي ونبدأ في الحساب وحلّ المسائل، إذا لم تكن حافظاً لأصول هذا العلم وفقهه فأنتى لك أن تحلّ المسائل وأنتى لك أن تمشي معنا، ثم بعد ذلك ترفع اللوم عن نفسك وتلقيه على هذا العلم وتقول هو علم صعب، والله يا إخوة عن تجربة ما هو صعب أبداً، فقط أوصيكم بالحفظ، وأمور يسيرة ما قلنا إحفظ ألفية أو احفظ كتاباً أو شيء من هذا، والعلم حقيقة هو المحفوظ، حقيقة علمك هو الذي تراه في الظلام، هذا علمك، غير هذا علم غيرك ليس بعلمك.

الشيخ العثيمين رحمته الله يقول أثناء شرحه لهذه المنظومة بالمختصر المفيد: لا بد من الحفظ.

قال الشاعر: تكتب العلم وتلقي في سبط (في الخزائن) *** ثم لا تحفظ لا تفلح قط

وقال الرّحبي رحمته الله: *** فاحفظ فكلّ حافظ إمام

والحفظ حفظان حفظ صدر وحفظ سطر، فحفظ الصدر هو الحفظ عن غيب، وحفظ السطر هو أن تُقيد وتكتب الفوائد وما تحتاج إلى الرجوع إليه مرة أخرى، ويُروى عن الشافعي رحمته الله أنه قال:

العلم صيد والكتابة قيده قيد صيودك بالحبال الوثيقة

فمن الحماقة أن تصيد غزاة وتركها بين الخلائق طالقة

والطالب عليه أن يهتم بمتن المادة غاية الاهتمام، فإذا حفظ المتن وفهمه وضبط شرحه، فإنّه بذلك يكون قد ألّم بالمادة، لأنّ المتن على اختصاره فإنّه يُلخص المادة ويعطيك ما تحتاج إليه في هذا الفن، فإذا كنت تقرأ المتن ولو مع مرور الوقت فهو يعتبر كالمفتاح للمادة، تقرأ الكلمة الواحدة فتفهم مراد المؤلف من قوله والخلاف الحاصل والقول الراجح وغير ذلك من الأمور.

وكان الشيخ ابن عثيمين رحمته الله يقول: قرأنا كثيراً فلم يبق معنا إلا ما حفظنا، وكان يوصي بحفظ المتون.

قال الناظم:

لذلكم من حفظ المتون حازوا للشرف الفنون

كذلكم من حفظ الأصول فإنّه قد ضمن الوصول

هذا بالنسبة للحفظ ثم يستصحب الطالب معه جزءاً من الفهم، فيعتني بفهم مراد الناظم من نظمه ومعنى كلامه، بهذا وهذا حريّ أن يُوفق إلى ضبط العلم وإتقانه.

إنّما علمك ما تحفظه مع فهمٍ وتوقٍ من غلط

إلزامية الحفظ من غير إلزام بحفظ القلائد:

بعد هذا الكلام كلّه ينبغي ويلزم منكم الحفظ، لكن ماذا تحفظون؟

الأصل أن تُحفظ المنظومة التي سنتدارسها بإذن الله، منظومة: "القلائد البرهانية"، هذا الأصل، لكن من كان حافظاً أو أراد أن يحفظ متن الرّحبية أو رسالة تسهيل الفرائض أو غيرها من المتون المؤلفة في هذا الفن أو يحفظ الجداول والمخططات، فله أن يكتفي بذلك ولا نُلزمه بحفظ القلائد، إذ المطلوب هو حفظ أصول العلم، فلو أنّه كان قد حفظ غيرها فيما سبق ثم نُلزمه بحفظ هذه المنظومة فإننا نأخذ من وقته الشيء الكثير الذي يمكنه أن يستفيد منه في حفظ متن آخر، والله الموفق.

المفاضلة بين النظم والنثر:

ثم إنّ للعلماء في تأليفهم وخصوصاً ما يتعلق بتأليفهم للمتون، طريقتان:

• طريقة التأليف على طريقة النثر.

• طريقة التأليف على طريقة النظم.

والنثر إرسال الكلام بلا قافية أو وزن، بخلاف النظم (أو: الشعر) فإنّ له وزناً وقافية، والنظم أسهل وأيسر للمتلقين لكن بالنسبة للمؤلف أشقّ وأصعب، وهذا في الغالب، وتكمن سهولته ويسره بالنسبة للطالب في كون النفوس تستعذبه وتميل إلى سماعه ويسهل حفظه ويرسخ في الذهن مقارنة بالنثر.

جاء في نظم الفارضية للشيخ شمس الدين محمد الفارضي رحمته الله:

أَحْمَدُ رَبِّي فَهُوَ مَوْئِي يُحَمِّدُ	قَالَ الْفَقِيرُ الْحَنْبَلِيُّ مُحَمَّدُ
عَلَى النَّبِيِّ الْهَاشِمِيِّ أَحْمَدًا	ثُمَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ أَبَدًا
يَسْتَحْضِرُ الْحَافِظُ مِنْهُ الْمَسْأَلَةَ	وَبَعْدُ فَالنَّظْمُ تَمِيلُ النَّفْسُ لَهُ
مَعْرِفَةَ الْأَهَمِّ فِي الْفَرَائِضِ	وَهَذِهِ بِهَا أَرَادَ الْقَارِضِيُّ

والشاهد قوله:

يَسْتَحْضِرُ الْحَافِظُ مِنْهُ الْمَسْأَلَةَ	وَبَعْدُ فَالنَّظْمُ تَمِيلُ النَّفْسُ لَهُ
----------------------------------------------	---------------------------------------------

وقال غيره:

للحفظ من نثر ومنه أجمل	واحرص على المنظوم فهو أسهل
وللفوائد الحسان أجمع	وهو لطالب العلوم أنفع
عليه وانبرت له الأعلام	من أجل هذا عول الأعلام

التعريف بالمنظومة:

منظومة القلائد البرهانية منظومة عظيمة الفائدة مختصرة العبارة، فهي على قلّة ألفاظها فإنّها كثيرة المعاني والفوائد، وهي في علم الفرائض أو علم المواريث وهو من العلوم الشرعية المتفرعة من علم الفقه. والعلماء قديمًا وحديثًا يهتمون بهذه المختصرات تأليفيًا وتحفيظًا وشرحًا، فكلماتها كالمفاتيح للأبواب، تفتح لك الباب فتجد علمًا غزيرًا وتفريعات كثيرة من الكلمة الواحدة. وطالب العلم يبدأ تعلمه بهذه المختصرات والأصول لأنّها الأساس، وإذا مرّ عليها وضبطها فإنّه يكون قد حصل علمًا يعينه، وبه يكون قد ضبط هذا العلم وأحزره.

عنوان المنظومة: "القلائد البرهانية".

القلائد: جمع قلادة وهو ما يُزين عنق المرأة من الذهب وغيره.

البرهانية: نسبة إلى الناظم لأنّه كان يُعرف بابن البرهان.

فكأنّه يقول أنّ هذه المنظومة كمجموعة من القلائد التي تكون على الرقبة فهي قريبة المأخذ، سهلة التداول على نفاستها، فكذلك هذه المنظومة نفيسة وقريبة وواضحة لطالبيها.

التعريف بالناظم:

صاحب المنظومة هو: محمد بنُ حجازي بن محمدٍ الحلبي الشافعي، وعُرف بين الناس: بابن البرهان.

ولد سنة ١١٤١ وهو: فقيه أصولي نحوي فرضي، أشتهر بالزهد وعدم الخلطة إلا لمن يفيد أو يفيد منه.

توفي سنة ١٢٠٥ رحمه الله تعالى.

المبادئ العشرة:

قبل أن نبتدئ بمدارسة المنظومة، من المهم أن نعلم أمورًا متعلقة بهذا الفن أو هذا العلم، سمّاها العلماء بالمبادئ العشرة، فمعرفة تعطيك نظرة، وتُوضح لك بعض الأمور عن هذا العلم، ذُكرت هذه المبادئ العشرة في أبيات.

قال أبو العرفان محمد بن علي الصبّان (المتوفى سنة ١٢٠٦):

إِنَّ مَبَادِيَّ كُلِّ عِلْمٍ عَشْرَةٌ	الحد والموضوع ثم الثمرة
ونسبته وفضله والواضعُ	والاسم الاستمداذ حكم الشارع
مسائلٌ والبعض بالبعض اكتفى	ومن درى الجميع حاز الشرفا

١/ الحد: وهو التعريف، أي: تعريف علم الفرائض.

الفرائض في اللغة جمع فريضة، أي: مفروضة، والفرض لغة يُطلق على عدة معاني:

منها القطع، فتقول: فرضت لك كذا من المال، أي: قطعت لك شيئًا منه.

ومن معاني الفرض: التقدير، قال الله تعالى: ﴿فَصَصِّفْ مَا قَرَضْتُمْ﴾، أي: ما قدرتم، وله معاني أخرى.

وأما في اصطلاح الفرضيين: فهو العلم بقسمة المواريث فقهاً وحساباً، أو نقول: (معرفة من يرث ومن لا يرث ومقدار ما لكل وارث).

والتركات جمع تركة، وهي: ما يتركه الميت من الأموال المنقولة وغير المنقولة (كالعقارات والأراضي).

ويُطلق على هذا العلم كذلك علم المواريث، والمواريث جمع ميراث، والميراث في اللغة هو: البقاء، ومنه قول الله تعالى: ﴿فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ وَلِيًّا ۖ يَرِثُنِي وَيَرِثُ مِنْ آلِ يَعْقُوبَ ۗ﴾، أي: يبقى بعدي فيصير له ميراثي، والمراد بالميراث هنا: النبوة.

وأما في الاصطلاح فهو: حق قابل للتجزؤ ثبت لمستحق بعد موت من كان له لقرابة أو نحوها.

٢/ الموضوع: موضوع علم الفرائض هو التركات التي يتركها أموات المسلمين ومن يستحقها من الورثة وقسمتها شرعاً.

٣/ الثمرة: ثمرة تعلم علم الفرائض هي إعطاء كل وارث حقه الشرعي من التركة.

٤/ نسبه: هو أحد علوم الفقه.

٥ / فضله: أعظم فضيلة لهذا العلم هو أنّ الله ﷻ تولى قسمة الموارث بنفسه ولم يكلها إلى غيره من ملك مقرب أو نبي مرسل.

قال الشيخ حافظ الحكيم رَحِمَهُ اللهُ فِي: "المنظومة الميمية في الوصايا والآداب العلمية":

وبالفرائض نصف العلم فاعن كما	أوصى إليه وخير الرّسل كلّهم
من فضلها أن تولى الله قسمتها	ولم يكلها إلى عرب ولا عجم
يوصيكم الله من بعدها اتصلت	وفي الكلاله أخرى فادن واغتنم

وقال غيره:

علم الفرائض علمٌ لا نظيره	يكفيك أن تولى قسمه الله
وبيّن الحظّ تبياناً لوارثه	فقال سبحانه: "يوصيكم الله"
وفي الكلاله فتيا الله منزلةً	فبان تشريف ما أفتى به الله

ومن فضائله حفظ حدود الله، لأنّ الله ﷻ قال بعد آية الموارث: ﴿تِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ يُدْخِلْهُ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾.

وورد في فضل هذا العلم عدّة أحاديث لا يصحّ منها شيء ولا يعول عليها، لكن يدخل علم الموارث تحت عموم النصوص الدالة على فضل الفقه في الدين، مثل قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾، وقول الله تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾، وقوله تعالى: ﴿يَرْفَعُ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَالَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ دَرَجَاتٍ﴾، وقول الرسول ﷺ: "من يرد الله به خيراً يفقهه في الدين"، وبمفهوم المخالفة فإنّ من لم يتفقه في الدين فإنّ الله ﷻ ما أراد به خيراً والعياذ بالله.

فعلى المسلمين عموماً وعلى طلاب العلم خصوصاً أن لا يضيعوا هذا العلم ويتكاسلوا عن تعلمه وتعليمه، ثم إنّ الجهل بهذا العلم قد يسبب مشاكل بين العائلات، وبين الإخوة والأخوات، والأبناء والبنات، حتى يصل إلى حد القطيعة والضعينة والانتقام، وقد يصل إلى القتل والعياذ بالله.

٦ / واضعه: هو الله ﷻ في كتابه الكريم.

٧ / اسمه: يُطلق عليه عدّة أسماء، فهو: علم الموارث، وهو: علم الفرائض، وهو: علم التركات.

الآيات التي جاءت في بيان أصول الموارث وتفصيلها ثلاثة، كلها في سورة النساء (آية ١١ وآية ١٢ وآية ١٧٦).

الآية الأولى: فصل الله فيها ميراث الفروع والأصول، قال الله تعالى: ﴿يُوصِيكُمُ اللَّهُ فِي أَوْلَادِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاءً فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلِأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِنْ كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُنْ لَهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبُوهُ فَلِأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلِأُمِّهِ السُّدُسُ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ لَا تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفَعًا فَرِيضَةٌ مِنَ اللَّهِ إِنْ أَلَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١١﴾

الآية الثانية: فصل الله فيها ميراث الزوج والزوجة والإخوة لأم، وتسمى آية الكلاله الأولى، قال الله تعالى: ﴿وَلَكُمْ نِصْفُ مَا تَرَكَ أَزْوَاجُكُمْ إِنْ لَمْ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٌ فَلَكُمْ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِيَتُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ ؕ وَلَهُنَّ الرُّبْعُ مِمَّا تَرَكَنَّ إِنْ لَمْ يَكُن لَكُمْ وَلَدٌ فَإِن كَانَ لَكُمْ وَلَدٌ فَلَهُنَّ الثُّمُنُ مِمَّا تَرَكَنَّ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ تُوصُونَ بِهَا أَوْ دَيْنٍ وَإِن كَانَ رَجُلٌ يُورِثُ كِلَاءً أَوْ امْرَأَةً وَوَلَهُ أَخٌ أَوْ أُخْتٌ فَلِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ فَإِن كَانُوا أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ فَهُمْ شُرَكَاءُ فِي الثُّلُثِ مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصَلُ بِهَا أَوْ دَيْنٍ غَيْرِ مُضَارٍّ وَصِيَّةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٌ ﴿١٢﴾

الآية الثالثة: فصل الله فيها ميراث الإخوة الأشقاء أو لأب، وتسمى آية الكلاله الثانية، قال الله تعالى: ﴿يَسْتَفْتُونَكَ قُلِ اللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِي الْكِلَالَةِ إِنْ امْرُؤٌ هَلَكَ لَيْسَ لَهُ وَلَدٌ وَوَلَهُ أُخْتٌ فَلَهَا نِصْفُ مَا تَرَكَ وَهُوَ يَرِثُهَا إِنْ لَمْ يَكُن لَهَا وَلَدٌ فَإِن كَانَتَا اثْنَتَيْنِ فَلَهُمَا الثُّلُثَانِ مِمَّا تَرَكَ وَإِن كَانُوا إِخْوَةً رِجَالًا وَنِسَاءً فَلِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الْأُنثِيَيْنِ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ أَن تَضَلُّوا وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٣﴾

ومن السنة: الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن ابن عباس رضي الله عنهما: قال ﷺ: "ألقوا الفرائض بأهلها، فما بقي فالأولى رجل ذكر".

وأما الإجماع: فكالإجماع على توريث بنت الابن، والاخت لأب، وغير ذلك من أحكام هذا العلم.

٩/ حكم تعلمه: فرض كفاية، إذا طلبه البعض سقط الإثم عن الباقين، وإذا تركوه جميعاً أثموا جميعاً، فيُنظر في فرض الكفاية إلى الفعل لا إلى الفاعل، فإذا فُعل الفعل سقط الوجوب عن البقية.

هي ما يُذكر في كل باب من أبوابه من تفاصيل.

طريقة مدارس المنظومة:

بإذن الله ﷻ سيكون الشرح متأنياً، ليس بموجزٍ فيُخلّ، وليس بموسع فيُملّ، سنحاول بإذن الله أن لا نكثر من عدد الأبيات المشروحة على أن لا يزيد الشرح بإذن الله على خمس وعشرين درسًا بإذن الله تعالى، والفائدة من ذلك كي يكون للطالب الفترة الكافية للحفظ ولكي يُوفى من كان يدرس أكثر من مادة في المعهد بين جميع المواد، كذلك قصر مدة الدرس وحصر الفوائد يعين الطالب على ضبطها، ويُبعد عنه الملل والضجر، والله الموفق.

ثم أنتم تعلمون أنّ هذا العلم (علم الفرائض) علمٌ نظريٌّ عمليٌّ، القواعد النظرية وهو الشطر الأول أو ما يُعرف بفقهِ الفرائض يُدرّك بالحفظ، لكن الشطر الثاني أو التطبيقات العملية أو الحساب وحلّ المسائل، هذا يحتاج إلى وسائل إيضاح، يحتاج إلى سبورة، لكن ليس بلازم، فسنحاول البسط والإيضاح من خلال كثرة إيراد الأمثلة والمسائل، وقد سبق لي أن درسته نظريًا على شيخنا علي الرملي حفظه الله ثم درسته على الشيخ عمر الشلالي حفظه الله وتمعنه بالصحة والعافية نظريًا عمدًا منه مع وجود السبورة، إذ أراد أن يكسر قاعدة أنّه لا بد من تدريسه على السبورة، وقد استفدنا كثيرًا وأهيناه بحمد الله وتوفيقه.

إلى هنا نكون قد أتينا على المقدمات التي أردنا أن نقدم بها بين يدي مدارس هذا النظم وذكرنا بعض الأمور المهمة المتعلقة بهذا العلم مما لا يستغني عنها الطالب.

فيمّا توخينا من الإبانة

ونسأل الله لنا الإعانة

والحمد لله ربّ العالمين.